السؤال وليس هذا مخالفا للاول وانما امر بالسوال من قصد به علم ما جهل ونهى عنه من قصد به اعنات ما سمع واذا كان السوال في موضعه ازال الشكوك ونفى الشبهة وقد قيل لابن عباس رضي الله عنه بم نلت هذا العلم فقال بلسان سؤول وقلب عقول وروى نافع عن ابن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال حسن السوال نصف العلم وانشد المبرد عن ابي جعفر العنوى

فسل الفقيه تكن فقيها مثله ... لا خير في علم بغير تدبر

واذا تعسرت الامور فارجها ... وعليك بالامر الذي لم يعسر

فليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وبعد الذكر باتباع اهل المنازل من العلما اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان يستوي النفعان فيكون الاخذ عن من اشتهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانتساب اليه اجمل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد ... لعلمك مخلوقا من الناس يقبله

وان صانك العلم الذي قد حملته ... اتاك له من يجتنيه ويحمله

اذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا سهل عليك من وجه فلا تطلب ما صعب واذا حمدت من خبرته فلا تطلب من لم تخبره فان العدول عن القريب الى البعيد عنا وترك الاسهل بالاصعب بلا والانتقال عن المخبور الى غيره خطر وقد قال علي رضي الله عنه عقبى الاخرق مضرة والمتعسف لا تدوم له مسرة وقال بعض الحكماء القصد اسهل من التعسف والكف اودع من التكلف وربما تتبعت نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل الى من لم يخبره ملالا لمن خبره فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها ان العالم كالحمة ياتيها البعدا ويزهد فيها القربا وانشدني بعض شيوخ الادب لسبح بن فاتك

لا ترى عالما يحل بقوم ... فيحلوه غير دار الهوان

قل ما توجد السلامة والصحة ... مجموعتين في انسان

فاذا حلتا مكانا سحيقا ... فهما في النفوس معشوقتان

هذه

هذه نكتة المنيفة بيت الله ... يسعى لحجها الثقلان

وترى ازهد البرية في الحج ... لها اهلها لقرب المكان

فصل

فاما ما يجب ان يكون عليه العلما من الاخلاق التي هي بهم اليق ولهم الزم فالتواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر وهو بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون وكثيرا ما يداخلهم الاعجاب لتوحدهم بفضيلة العلم ولو انهم نظروا حق النظر وعملوا بموجب العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم احرى لان العجب نقص ينافي الفضل لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان العجب لياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب فلا يفي ما ادركوا من فضيلة العلم بما اكتسبوا (لحقهم) من نقص العجب وقد روى عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الفقه خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله تعالى وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برايه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون وليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلما فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله تعالى به ومن تواضع بعلمه رفعه الله تعالى به وعلة اعجابهم انصراف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال وانصراف نظرهم عن من فوقهم من العلما فانه ليس متناه في العلم الا وسيجد من هو اعلم منه اذ العلم اكثر من ان يحيط به بشر قال الله تعالى نرفع درجات من نشا يعني في العلم وفوق كل ذي علم عليم قال اهل التاويل يعني فوق كل عالم من هو اعلم منه حتى ينتهي ذلك الى الله تعالى وقيل لبعض الحكما من يعرف كل العلم فقال كل الناس وقال الشعبي ما رايت مثلي وما اشا ان القى رجلا اعلم مني الا لقيته لم يذكر الشعبي هذا القول تفضيلا لنفسه فيستقبح منه وانما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغي لمن علم ان ينظر الى نفسه بتقصير ما قصر فيه ليسلم من عجب ما ادرك منه فقد قيل في منثور الحكم اذا علمت فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)